الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنة. فهذه هي الأعمالُ الحسنَةُ والنافعة* أمَّا المباحثاتُ الهذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافِعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قد اعتسَف وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمَ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتهِد في تشييعهما متأهِّبينِ لئلاَّ يُعوزهما شيءٌ* وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالِحةِ للحاجاتِ

إله تام وإنسان تام

يرسم المؤمن الأرثوذكسيّ إشارة الصليب عدّة مرّات في اليوم، وهو يعلن في كلّ مرّة إيمانه بسرّ الثالوث وبسرّ التجسّد. الكلّ يدرك أنّ اتّحاد الأصابع الثلاثة (الابهام والسبابة والوسطى) يشير إلى الأقانيم الثلاثة، الآب والابن والروح القدس، المتّحدين في جوهرهم الواحد، وهذا ما يجعلنا نقول أنّنا نؤمن بإله واحد وليس ثلاثة آلهة. لكنّ بعض الأرثوذكس لا يدركون أنّ الإصبعيَن الأخيريَن (البنصر والخنصر) اللذين نجعلهما في راحة اليد (أو باطن اليد) عندما نرسم إشارة الصليب يشيران إلى اتّحاد طبيعتَي المسيح الإلهيّة والإنسانيّة في لحظة تجسّده في أحشاء العذراء.

نورد هذه الأفكار اليوم لأنّنا نعيّد لآباء المجمع المسكونيّ الرابع الذي التأم في خلقيدونية في العام ٤٥١، وبدأ اجتماعه يوم الإثنين ٨ تشرين الأول في كنيسة القديسة أوفيميّة المعظّمة في الشهيدات. إنعقد هذا المجمع على أثر المجمع المعروف بالمجمع اللصوصيّ الذي عُقد في أفسس في العام ٤٤٨. لقد دافع المجمع اللصوصيّ عن إفتيشيوس وفيه قضى القديس فلافيانوس أسقف القسطنطينيّة نَحبه بعد أن رُكل بالأرجل وجُلد بالسياط.

كانّ إفتيشيوس رئيسًا لأحد أديرة القسطنطينيّة، وكان من ألد أعداء الهرطوقي نسطوريوس الذي كان يفصل بيت طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية إلى حد إنكار الإتحاد الحقيقي بينهما. لكن ليس كلّ من يكون ضد هرطقة ما يكون في الاستقامة، فإفتيشيوس ذهب في معارضته المتطرفة لنسطوريوس إلى الحدّ النقيض. لقد خلط إفتيشيوس طبيعتَي المسيح الإلهية والبشرية وجعلهما طبيعة واحدة، وهذا أوصله إلى القول بأن المسيح لم يكن من طبيعة الآب نفسها ولا من طبيعة الإنسان، ولكنّه ذو طبيعة خاصة ممتزجة من كلتيهما، وقد وافقه في هذا التعليم الخاطئ ديوسقوروس بطريرك الإسكندريّة. لذلك انعقد المجمع المسكونيّ الرابع ليحدّد ما هو الإيمان المستقيم المختص بطبيعة المسيح.

لقد حدّد المجمع المسكوني الرابع

العدد ٢٩ / ٢٠١٦

الأحد ١٧ تموز

أحد آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكار العظيمة في الشهيدات مارينا

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الرابع

إيمانه الأرثوذكسيّ كما يلي: «إننا نتبع الآباء الإلهيّين ونضم إليهم أصواتنا باتّفاق معلنين ومعلّمين أنّنا نعترف بالابنِ والرب يسوع المسيح هو نفسه كاملًا في اللاهوت وكاملًا في الناسوت، هو إله حق وإنسان حق مؤلّف من نفس وجسد، وهو واحد في الوقت نفسه، من جوهر هو جوهر الآب من جهة لاهوته ومن طبيعة هي طبيعتنا من جهة ناسوته، مثلنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة. وهو، وإن يكن قد وُلد من الآب قبل كلّ الدهور باللاهوت، وُلد في الأيام الأخيرة بالناسوت من العذراء مريم والدة الإله لأجلنا ولأجل خلاصنا. إنّه واحد هو نفسه المسيح، والابن والرب الوحيد المولود بطبيعتَين بلا اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولا انفصال، ولم يحدث بالاتّحاد أي اختلاف بين الطبيعتَين ولم يُنزع أو يُلغَ، بل بالعكس إن خواص كلّ من طبيعتَي المسيح الواحد حُفظت سالمة. والطبيعتان لم تنقسما أو تنفصلا إلى شخصَين بل بالعكس كان منها شخص واحد (أقنوم واحد) هو نفسه الابن الوحيد الله الكلمة الرب يسوع المسيح كما تنبأ عنه الأنبياء قديمًا بالتّمام وكما علّمنا بوضوح هو نفسه، أي الرب يسوع المسيح، وكما تسلّمنا التعليم عنه في دستور الإيمان، دستور الآباء».

لقد عارض هذا المجمع الأقباط والأرمن والسريان فانشقوا عن الكنيسة الجامعة، ذلك لأنّهم رفضوا تسمية «طبيعتَين» في الرب يسوع لأنّهم اعتبروا أن مصطلح طبيعة يشير إلى شخص، ولا يجوز أن يكون للمسيح شخصيتان. لذلك عمد آباء الكنيسة على مرّ العصور إلى تفسير هذا الموضوع الخريستولوجيّ، وكيف أنّ المسيح هو شخص واحد يجمع في ذاته الطبيعتَين، الإلهيّة والانسانيّة.

يقول القديس يوحنا الدمشقي: «لم نسمع قط أن الألوهة صارت إنسانًا أو تجسدت، إنما تعلّمنا أن الألوهة اتّحدت مع الناسوت في واحد من أقانيمها». هذا يعني أن الاتّحاد بين اللاهوت والناسوت لم ينتج أي تغيير في الثالوث القدوس، فابن الله بقي بعد تجسّده كما كان قبل التجسّد من جهة لاهوته، لكنّ الطبيعة البشرية تألّهت وتمجّدت عندما اتّحدت بالطبيعة الإلهية في المسيح، ولكن دون أن يحصل أي تحوّل جوهريّ في طبيعتها الخاصة. وفي حديث القديس غريغوريوس اللاهوتي عن طبيعتَي المسيح الإلهية والإنسانيّة يقول: «من بين الطبيعتَين، الأولى ألّهت والثانية تألّهت». هذه الفكرة تتوضّح في تعليم المجمع المسكوني السادس: «إن جسد يسوع المسيح الفائق الطهارة والقداسة تألّه ولم ينمحِ بل بقي في حالته البشرية». ويرد أيضًا في تعليم القديس يوحنا الدمشقي عن طبيعتَي المسيح ما يلي: «كما نعترف أن التجسّد صار دون تحوّل أو تغيير، هكذا نفهم أيضًا تألّه الجسد».

لقد شدّدت الكنيسة على مرّ العصور على كمال طبيعتَي المسيح الإلهيّة والإنسانيّة. نحن نؤمن أنّ المسيح هو مخلّصنا الوحيد، وهو كذلك لأنّ فيه وحده تلتقي الطبيعتان الإلهيّة والإنسانيّة. فإن كانت طبيعته مختلفة عن طبيعتنا في شيء أو هو لم يتّخذ كامل طبيعتنا فكيف يكون مثلنا في كلّ شيء؟ فهو إن لم يكن مثلنا في كلّ شيء، ما عدا الخطيئة، لا يستطيع أن يمنحنا الخلاص. الكنيسة حاربت وتحارب الهرطقات ليس حبًّا بالفلسفة وبالنقاشات اللاهوتيّة المتعبة، بل لأن الهرطقات والبدع تضلّل المؤمنين الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّم على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين

الإنجيل

(متى ٥: ١٤–١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالم. لا يمكن أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبلٍ* ولا يُوقَد سِراجٌ ويوضَعُ تحت المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناس ليَروا أعمالكم الصالحةَ ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات* لا تَظنُّوا أنّي أتيتُ لأحلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحلَّ لكن لأُتمّم* الحقَّ أقول لكم إنّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويُعلِّمُ الناس هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

«يا ولدي تيطس صادقة هي الكلمة وإياها أريد أن تقرر».

لا أحد يعطي أهميّة لنبوءات الكتب المقدسة، وتُحتقر كلمات الأنبياء المخيفة وكأنها أساطير. إذاً، كيف سنخلص؟ كيف سنتجنّب العقاب العادل؟ «تُهنا واختفينا» (عد ١٧: ٢٧) أصبحنا أضحوكة للكافرين وعابدي الأوثان والشياطين. الشيطان يتباهى ويفرح، وملائكتنا الحارسة تخجل وتحزن، ووعّاظ الكنيسة، الذين عبثاً يدعوننا كلّ يوم إلى التوبة، ييأسون من لا مبالاتنا ويلجأون كأنبياء إسرائيل إلى العناصر الجامدة، التي، بالرغم من كونها غير عاقلة، إلاّ أنّها تخضع دائماً لنواميس خالقها وقوانينه، من دون أن تخالف الترتيب الإلهي أبداً: «اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأنّ الربّ يتكلّم: ربّيت بنين ونشّأتهم أمّا هم فعصوا عليّ» (اش ١: ٢).

إنّ هذه الكلمات موجّهة إلينا، نحن أنكرنا جابلنا والمحسن إلينا، اصبحنا لا وتبعدهم عن خلاصهم الذي ائتمنها عليه الرب يسوع.

الأعمال الحسنة

الحسن في الكتاب المقدّس هو الجيّد والممتاز أيضاً. ترد هذه الكلمة مرّاتٍ عدّة في الكتاب المقدّس دالّةً على أعمال ترضي الله، أعمال من الإنسان وأعمال الله في خلقه. يخبرنا سفر التكوين أنه حين خلق الله السماء والأرض رأى «كلّ شيء حسن» أي ممتازاً ومقبولاً عند الربّ. الحسن في عيني الربّ لم يكن آنيّاً بل متواصلاً. يظهر هذا في عمليّة الخلق إذ لم يتوقّف عند أوّل شيءٍ حسن بل ثابر على الحُسن والخلق مع العناية بخلقه. فالصلاح عند الربّ لا يتوقّف ولا يحدّ بل تسوده محبّة الله، محبّة أرادها لخلقه أن يكون قمّة الإتقان.

الأعمال هي الوسيلة التي يعتمدها الإنسان في سعيه نحو التألّه والتجلّي في حياةٍ روحيّةٍ مع المسيح. يعلّمنا آباؤنا القدّيسون أنّ العمل والإيمان هما الجناحان اللذان يحلّق بهما المسيحيّ نحو حياةٍ فُضلى لبلوغ الحياة الأبديّة؛ على خلاف ما تدّعيه بعض الشيع المسيحيّة أنّه بالإيمان فقط يصل الإنسان إلى الخلاص. لقد دعانا الربّ يسوع في أكثر من موضعٍ إلى ممارسة الأعمال الحسنة، هذا بالإضافة إلى ما أظهره بالممارسة وبأمثالٍ عن هذه الأعمال المرضيّة. الإنجيليّ متى ينقل لنا تعليم الربّ يسوع عن كيفيّة ممارسة الأعمال الحسنة فيعلّم المؤمنين أن تكون الأعمال الصالحة في الخفية وأبونا الذي في الخفية هو يجازي علانيةً (مت٦: ٤).

حياة المسيحيّ إذاً تقوم على الأعمال إلى جانب الإيمان ولكن ليس أيّ عمل دنيوي بل تلك الأعمال الحسنة التي هي مرضيةٌ لله. بالأعمال الحسنة يتحوّل المسيحيّ إلى أيقونةٍ توجّه غير المؤمنين نحو الصلاح: «أن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة» (١بط٢: ١٢). الصلاح لا يمارَس مع الإخوة فقط بل مع الأمم أي الغرباء كما دعانا بطرس هنا. فأي عملٍ صالحٍ يبقى صالحاً مع القريب، لكن الصلاح مع الغريب أي مع أشخاص ممكن ألاّ يفهموه قد يحمل ظلماً للمؤمن لأنه قد لا ينال شيئاً في المقابل. هنا جرأة إيمانيّة وتضحيةٌ حقّة. هذا النوع من الصلاح من المرجّح ألاّ يحمل لنا نتيجة إيجابيّة مباشرة لكنّه يرضي الله. لهذا يشدّد بولس الرسول على التمسّك بهذه الأعمال: «تمسّكوا بالحسن» (١تس ٥: ٢١). في تعليمه هذا يحصّن الرسول المؤمنين مسبقاً من خطر الوقوع في تهاونٍ بسبب عدم الحصول على نتيجة مرضية لأنّ الرضى والتقدير من الله. إن لم ننل مجازاةً بشريّة من الغريب فلنتمسّك بهذه الأعمال الحسنة لأنّ الله يرى.

قد يقع المؤمن في حيرةٍ من كيفيّة إتمام الصلاح فحيناً يدعونا الإنجيلي متّى إلى ممارسة الأعمال الحسنة في الخفية وحيناً آخر يدعونا الرسل إلى ممارستها أمام الغرباء. «فليضئ نوركم أمام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة» (مت ٥: ١٦). الفارق بين التعليمين هو أنّه حين يعلّمنا الربّ يسوع عن الأعمال الفرديّة يطلب منّا القيام بها في الخفية. الخفية هنا لحماية المؤمن من أيّ حالة من التكبّر والمجد الباطل والتفاخر بالأعمال فيسقط حينها في وسط الطريق. أمّا حين يتوجّه التعليم إلى الجماعة فما من شيء مخفيّ بل على الجماعة المسيحيّة أن تكون قدوةً للآخرين في ممارسة الصلاح وكلّ شيء حسن. «مقدّماً نفسك في كلّ شيء

قدوةً للأعمال الحسنة» (تي ٢: ٧). الجماعة المسيحيّة مدعوّة إذاً لأن تكون قدوةً للآخرين. الأعمال الحسنة، إذا ما نظرنا إليها من منظار معاصر، يجب أن تكون كالداء الذي ينتقل بالعدوى بين الناس ولكن هنا داءٌ حسن «لكي يهتمّ الذين آمنوا بالله أن يمارسوا الأعمال الحسنة» (تي ٣: ٨). كلّ مسيحيّ يصبح مثالاً للآخر في هذه الممارسة.

أعمالنا الحسنة معرّضة للسقوط بسبب التجارب التي يحاول من خلالها الشرير سرقة النفوس الصالحة. الآباء القديسون يعلّموننا أنّ الفضائل تشكّل السكّة التي يجب أن يجتازها المؤمنون ليصلوا إلى ميناء الخلاص. بالفضائل تُصان النفوس وتقوّم الأعمال ليكون كل شيء حسن، وبالتمييز نتمكّن من المثابرة والتأكد أنّ الأعمال حسنة. حتى ما هو غير حسن ممكن أن يحوّله المؤمن إلى الصلاح. في حين ليس صالحاً تماماً أن يراقب أحدنا الآخر إلّا أنّ الرسول بولس يدعونا إلى تحويل كل الأمور نحو الصلاح حتى مراقبة الآخرين: «لنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة» (عب ١٠: ٢٤). كل الأمور لها وجوه سلبية ووجوه إيجابية. المؤمن الذي يضع نصب عينيه الخلاص والذي يدرك خطيئته كل حين يمكن أن يحوّل الطاقات السلبيّة إلى إيجابيّة بهدف خدمة البشارة وتشديد الآخرين فيكون كتيطس الرسول قدوةً للآخرين.

بالعمل أدرك السامري الصلاح حين اعتنى بمن اعتبره عدواً وآواه وضمّد جراحه. بالعمل أيضاً أدرك العشّار ما هو حسن ورد كل ما سلبه من الناس معترفاً بخطيئته. أيضاً سقط الكاهن واللاوي عندما تجاهلا المحتاج على الطريق. بالعمل أيضاً كاد بطرس أن يسقط حين قطع أذن واحد من الذين أتوا يطلبون يسوع ولكن الرب أوقفه. يقف الإنسان عند مفترق الحسن والباطل في كل عملٍ يقوم به لذا عليه أن يتقن الخيار.

تجلّت الجماعة المسيحية الأولى في المحبة والعناية بالآخر. كانت الأعمال الحسنة هي المحور الأساس لحياة الكنيسة الأولى فكانت تظهر صورة هؤلاء المسيحيين أمام اليهود والأمم كجماعة محبّة تحسن إلى الآخر وتتقن هذا الإحسان. الله أتى لتكون لنا الحياة ولتكون لنا أفضل (يو ١٠: ١٠) أي أعطانا الحياة وهي الحياة الأحسن والأفضل.

لبلوغ ما هو حسن علينا أن نحيا في الحسن والإحسان وأن تكون أعمالنا مضيئةً أمامنا وللآخرين فنكون المثال «لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلّصنا الله» (١ تيمو ٢: ٢–٣).

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس التسبيتي تُقام خدمة صلاة الغروب عند السابعة من مساء الثلاثاء ١٩ تموز في كنيسة دير مار الياس بطينا، وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأربعاء ٢٠ تموز في كنيسة مار الياس – المصيطبة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

عقل لنا أكثر من المخلوقات غير العاقلة بتجاوزنا النواميس الطبيعية والمعطاة لنا من الله. الآن هو وقت التوبة، زمن الصحو. مَن كان منّا بصحة جيّدة فليساعد المرضى، والواقفون ليمدّوا أيديهم بأخوّة للساقطين، والسائرون بثبات في طريق الخلاص فليجلبوا أولئك الذين يهيمون في هوّة الهلاك. يجب ألّا نهتم بمصلحتنا فقط بل بمنفعة إخوتنا أيضاً. كلنا نهتم بزيادة أرباحنا، فليساعد الواحد منّا أولئك الذين هم بحاجة. كلنا نمدّ أيدينا لنأخذ، فليمدّ الواحد منّا يده ليعطي. كلنا نفكّر في كيفيّة إطالة حياتنا على الأرض فليفكّر الواحد منّا في كيفيّة تخليص نفسه. كلّنا نخاف البؤس على الأرض فليرهب الواحد منّا من الجحيم الأبدية. إنّ حزن نفسي على فقدان الشعور لدينا لا يمكن التكلّم عليه. «يا ليت رأسي ماء وعينيّ ينبوع دموع فأبكي نهاراً وايلًا قتلى بنت شعبي» (ار ٩: ١).

القديس يوحنا الذهبي الفم